سفر رؤيا يوحنّا اللاّهوتيّ وزماننا

د. يوحنّا كرافيذوبولس
جامعة سالونيك – جامعة البلمند
ترجمه عن اليونانيّة: الأب منيف حمصي

يتساءل النّاس بكثير من القلق اليوم ويقولون: حقّاً نحن في نهاية الأزمنة. ولعلّ علامات الأزمنة تنبئ، بقوّة، في هذه الأيّام، بنهاية الزّمن والتّاريخ. ترى ماذا يقول سفر الرّؤيا، آخر أسفار العهد الجديد، ردّاً على هذه التّساؤلات؟

قبل أن نقارب الموضوع، ينبغي أن نلاحظ أنّ هذه التّساؤلات كلّها سبق أن أثيرت في المجتمعات البشريّة في العصور الغابرة. فيوحنّا الحبيب، وفي رسالته الأولى الجامعة الّتي وضعها في نهاية القرن الأوّل للميلاد، يقول: "أيّها الأولاد هي السّاعة الأخيرة. وكما سمعتم أنّ ضدّ المسيح Anti-Christ، يأتي، قد صار الآن أضدّاد المسيح كثيرون." (١ يوحنّا ٢: ١٨).

إلى ذلك، فقد ساد في نهاية الألفيّة الأولى للميلاد هلعٌ كبير بين النّاس، وذلك بُعَيْدَ مرور قرون على مجيء يسوع المسيح إلى العالم، وتساءلوا: ترى هل باتت نهاية العالم وشيكة، سيّما وأنّ كثيرين انتظروا النّهاية هذه بهلع وذعر في ليلة الحادي والثلاثين من كانون الأوّل سنة ١٠٠٠، ولازموا الكنائس. بَيْدَ أنّ الأوّل من كانون الثّانيّ ١٠٠١ سرعان ما بدّد كلّ مخاوفهم.

كذلك فإنّ هلعاً مماثلاً ظهر هنا وثمّة من التّاريخ. وفي اللّحظات العصيبة راح المسيحيّون يطالعون سفر الرّؤيا، ويعاودون مطالعته، بحثاً عن أجوبة لمشكلاتهم ومخاوفهم. فكانوا تارة يتطلّعون إلى الرّجاء من أجل انعتاقهم من النّكبات التّاريخيّة، وطوراً كان الخوف يجتاح قلوبهم.

وقد بات معروفاً في أيّامنا أنّ سفر الرّؤيا هو في مقدّمة اهتمامات النّاس، سيّما بعد أحداث مضطّربة اجتاحت العالم في الماضي القريب كاللّجوء إلى القنبلة الذّرّيّة سنة ١٩٤٥، وأيضاً في أحداث أكثر قرباً، وأكثر رعباً، وأعني بذلك انفجار المفاعل النّوويّ في شرنوبيل، والحرب الضّروس في الخليج الفارسيّ، وغير ذلك من الحروب الّتي اندلعت في بقاع عدّة من العالم.

وفي المفهوم المسيحيّ للزّمن والتّاريخ، فإنّ كلّ عصر، وكلّ لحظة، هي زمن ذو نهاية، وفي الوقت نفسه، هي زمن لعمل خلاّق يقوم به المسيحيّ في الحاضر القائم.

وعيش النّهاية، لا يعني في أي شكل من الأشكال، الجمود والرّكود، انتظاراً سلبياً، إنّما هو نبع لكلّ إلهام، في حياة أكثر غنىً وإثماراً، خلاّقةٍ ولا تتوقّف. والحياة اللّيتورجيّة في الكنيسة الأرثوذكسيّة، سيّما أناشيد الكنيسة، وتراتيلها، تتطلّع إلى إيقاظ الإنسان من الاطمئنان المدمّر للنّفس، وإلى التّشديد والتّأكيد أنّ كلّ لحظة من لحظات الحياة، يمكنها أن تعلن دينونة العالم.

لأجل هذا فإنّ كلّ لحظة تعطى للعمل والمحبّة وتنمية المواهب. بكلمات أخرى، فإنّ ثمّة بين التّاريخ والدّهر الآتي (eschata) جدليّة ضيّقة طالما أنّ النّهاية أصبحت واقعاً في الحياة والموت وقيامة يسوع المسيح، والتّذوّق المسبق للدّهر الآتي في صميم أسرار الكنيسة.

بهذا المعنى، يرتبط سفر الرّؤيا بحياتنا، وقد سبق له أن ارتبط مباشرة بالزّمن الّذي دوّن فيه – نهاية القرن الأوّل للميلاد – وأعني به عصر اضطّهاد المسيحيّين في الدّولة الرّومانيّة، وظهور شهداء الإيمان الأوائل.

والآن، دعونا نرى المواضيع المحوريّة الّتي حولها يدور سفر الرّؤيا.

١– يميط سفر الرّؤيا اللّثام عن أمور كثيرة مع ذكر الختوم السّبعة وتبويق الملائكة والحروب على الأرض. فالشّدائد ترتبط بالإنسان، وبالكائنات ذوات الأنفس في البرّ والبحر والجماد، والكائنات السّماويّة. والعالم الّذي يعتلن لنا من جرّاء وصف النّكبات والشّدائد، ليس هو العالم الحسن والجميل الّذي أبدعه الله، إنّما هو العالم الذي عبث به الإنسان وبدّله. الله يخلق ويبدع، أمّا الإنسان فيتلف ويدمّر. ويكفي أن نقارن سفر الرّؤيا، بالسّفر الأوّل من الكتاب المقدّس، أعني به سفر التّكوين، كي نتأكّد أنّ ما أبدعه

الله بعناية فائقة، يبدّده الإنسان ويدمّره. فالله يبدع ويخلق، أمّا الإنسان فيُفسد ويلوّث ويعيث ويعمل على نحو يعاكس ناموس الخلق الإلهيّ.

٢– لكن لماذا يسمح الله بالدّمار والشّدائد؟ بالجواب على هذا السّؤال نلج عتبة القسم الثّانيّ من سفر الرّؤيا وهو هدف كلّ أعمال الله. فالشّدائد هي للتّوبة. وهذا الموضوع محوريّ ومركزيّ، ليس فقط في سفر الرّؤيا بل في كلّ أسفار الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد.

أنبياء العهد القديم ينادون بضرورة التّوبة عند النّاس، وبضرورة العودة إلى عبادة الإله الحقيقيّ والعيش وفقاً لوصاياه. وذروة الأنبياء يوحنّا المعمدان الّذي في نهاية العهد القديم وفجر الجديد نادى بالتّوبة لأنّ مسيّا قد أتى. ويسوع نفسه يقول: "لقد اقترب ملكوت السّموات. توبوا وآمنوا بالإنجيل" (مرقس ١: ١٥).

وكاتب سفر الرّؤيا بعد وصفه للشدائد الّتي تصاحب تبويق الملائكة، يقول: "وأمّا بقيّة النّاس الّذين لم يقتلوا بهذه الضّربات، فلم يتوبوا عن أعمال أيديهم حتّى لا يسجدوا للشّياطين وأصنام الذّهب والفضّة والنّحاس والحجر والخشب الّتي لا تستطيع أن تبصر ولا تسمع ولا تمشي. وكذلك فإنّهم لم يتوبوا عن قتلهم ولا عن سحرهم ولا عن زناهم ولا عن سرقتهم" (رؤ ٩: ٢٠ – ٢١).

٣– ليس هناك تزيين رومانسي للعالم، وللسّلوك البشريّ في سفر الرّؤيا. بل هناك واقعيّة تامّة عند كاتب السفر ، فهو لا يستطيع أن يغلق عينيه عن استفحال الشّرّ. وإبليس وكلّ أعوانه يقاومون أعمال الله على الدّوام. وهذه كلّها يصفها كاتب الرّؤيا على نحو رؤيويّ لا بعبارات مجرّدة، بصور مرعبة لا بأفكار فلسفيّة ناعمة ومنمّقة. فالشّرّ يتزايد باستمرار، ويتعاظم، محرّضاً على فساد عظيم. وفي النّهاية يبلغ ذروته في هيئة المسيح الكذّاب الّذي يسود وقتيّاً لا على الدّوام، في العالم. وسوف نتكلّم تباعاً عن هيئة المسيح الكذّاب.

٤– ويمكن للشّرّ أن يفسد العالم على الدّوام، وأن يتعاظم باستمرار، إلاّ أنّ الكلمة الأخيرة في تاريخ العالم هي لله. فالله هو السيّد في الدّهر الآتي، وفي مسيرة التّاريخ البشريّ أيضاً. فهو يستخدم أعظم النّكبات والشّدائد من أجل منفعة الإنسان، وذلك كي يقوده إلى التّوبة.

وفي التّصادم مع القوى الشّيطانيّة، فإنّ المنتصر هو الجالس على الحصان الأبيض، أي كلمة الله:" فنظرت وإذا فرس أبيض والجالس عليه معه قوس، وقد أعطي إكليلاً وخرج غالباً ولكي يغلب" (رؤ ٦: ٢). وأيضاً: "ثمّ رأيت السّماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً وبالعدل يحكم ويحارب. وعيناه كلهيب نار، وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلاّ هو. وهو متسربل ثوباً مضرّجاً بالدّم ويدعى اسمه كلمة الله. والأجناد الّذين كانوا يتبعونه، كانوا على خيول بيض لابسين بزاً أبيض ونقيّاً" (رؤ ١٩: ١٠ – ١٧).

أمّا ذروة الانتصار الأخير، فهي وصف أورشليم العلويّة، والعالم الجديد الّذي لا دموع فيه ولا ألم ولا موت: "ثمّ رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة لأنّ الأرض الأولى والسّماء الأولى مضتا، والبحر لا يوجد في ما بعد . . . وأنا يوحنّا رأيت المدينة المقدّسة أورشليم الجديدة نازلة من السّماء من عند الله . . . وسيمسح الله كلّ دمعة من عيونهم، والموت لا يكون في ما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد (رؤ ٢١: ١ – ١٠). وهذا التّفاؤل يفسّر لنا لماذا طالع المسيحيّون هذا السّفر وأحبّوه جدّاً في الأيّام العصيبة من الحكم العثمانيّ، لا بل في أزمنة عصيبة أخرى من التّاريخ.

٥– ولكن قبل مجيء ملكوت محبّة الله هناك دينونة العالم. هذه لحظة نهاية رفيعة من التّاريخ، وفي الوقت نفسه هي موضوع مركزيّ في سفر الرّؤيا.

وكاتب السّفر يعبّر بطريقة تصاعديّة عن ذلك، فيدنو على الدّوام من موضوع الدّينونة، وسرعان ما ينأى بنفسه عنه ليعود إليه بعد حين كي يزوّده بعناصر جديدة. سفر الرّؤيا يرتقي بنا إلى ذرى جبل عال في مسيرة تصاعديّة لولبيّة تاركاً إيّانا كي نمضي في الدّرب الّذي نعبر دون أن نفقد الإحساس بالدّيمومة والاستمرار. وبين الفينة والأخرى يعرض علينا قيلولة وراحة في هذه المسيرة التّصاعديّة مجتذباً انتباهنا نحو الذّروة حيث الجوق الّذي سيشدّدنا بأناشيده لمتابعة المسيرة. وذلك لأنّ دأب الكاتب من السّفر هو أن يبلسم قلوبنا بالعزاء والسّلوى، وأن يشجّع المؤمنين في الجهاد الصّعب على دروب صعبة تحفّ بها الأخطار الّتي تفوق المخاطر الّتي يصادفها العدّاؤون. وهذه المسيرة التّصاعديّة هي فنّ أدبيّ يتجلّى في موضوع الدّينونة. إنّها مذاقة أولى، أو بالحريّ مذاقة يعرفها المرء لدى فضّ الختم السّادس: "ونظرت لمّا فتح الختم السّادس، فإذا زلزلة

عظيمة حدثت، والشّمس صارت سوداء كمسح من شعر، والقمر صار كالدّم ونجوم السّماء سقطت إلى الأرض كما تطرح شجرة التّين سُقاطها إذا هزّتها ريح عظيمة. والسّماء انفلقت كدرج ملتفٍّ وكلّ جبل وجزيرة تزحزحا من موضعهما. وملوك الأرض والعظماء والأغنياء والأمراء والأقوياء وكلّ حرّ أخفوا أنفسهم في المغاير وفي صخور الجبال. وهم يقولون للجبال والصّخور اسقطي علينا واخفينا عن وجه الجالس على العرش وعن غضب الخروف. لأنّه قد جاء يوم غضبه العظيم، ومن يستطيع الوقوف" (رؤ ٦: ١٢ – ١٧). وفيما بعد نجد وصفاً أكثر هلعاً، فلنسمع: "ثمّ نظرت وإذا سحابة بيضاء، وعلى السّحابة جالس شبه ابن إنسان له على رأسه إكليل من ذهب وفي يده منجل حادّ . . . فألقى الجالس على السّحابة منجله على الأرض فحصدت الأرض . . ." (رؤ ١٤: ١٤ – ٢٠). في موضع آخر نسمع: "ثمّ رأيت عرشاً عظيماً أبيض والجالس عليه الّذي من وجهه هربت الأرض والسّماء و لم يوجد لهما موضع. ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله. وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة ودين الأموات ممّا هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم. وسلّم البحر الأموات الّذين فيه . . . ودين كلّ واحد بحسب أعماله. وطرح الموت والهاوية في بحيرة النّار" (رؤ ٢٠: ١١ خ ١٥). وهذا كلّه يأتي قليلاً قبل وصف العالم الجديد. وأضيف أمراً أخيراً: "ثمّ رأيت عرشاً أبيض والجالس عليه . . . والأرض والبحر هربتا من أمام وجهه وتلاشيتا. ورأيت الأموات كباراً وصغاراً . . . وانفتحت الكتب. ثمّ بعد حين فُضَّ كتاب آخر. إنّه سفر الحياة، وكانت دينونة الأموات حسب أعمالهم . . .".

ولدى رؤية الدّينونة العتيدة، وفي كلّ حدث من أحداث الحياة الّتي ينبئ عنها يوحنّا ويعلنها، ترتسم أمامنا إقامة البشر. وعندما يتوجّه إلى قائد الكنيسة الّتي في ساردس، يطالبه أن يكون ساهراً وصاحياً. ويتوجّه أيضاً إلى كلّ أعضاء الكنيسة الّتي في ساردس ويطالبهم بالسّهر (متى ٢٤: ٤٢)، (مرقس ١٣: ٣٤). ويجب أن نلاحظ أنّ عبارة اسهروا واصحوا (رؤ ٣: ٢) هي دعوة صارمة للجهوزيّة والاستعداد، لا بل ترتبط بتبليغ أكثر صرامةً وتشدّداً، وهو ما يورده في التالي: ". . . إن لم تسهر أقدم عليك كلصّ، ولا تعلم أيّة ساعة أقدم عليك" (رؤ ٣: ٣).

وعلى العكس، ففي واحدة من التّطويبات السّبعة في سفر الرؤيا نجد يوحنّا يغبط الصّحاة والسّاهرين: ". . . طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلاّ يمشي عرياناً فيروا عورته"

(رؤ ١٦: ١٥). وهذه التّطويبة تأتي في سياق حرب أخرويّة ودنيويّة.

وأناشيد وتراتيل الكنيسة الأرثوذكسيّة سيّما الخدم في الأربعينيّة المقدّسة، تذكّر المؤمنين بحدّة وحزم بما يطلبه كاتب الرؤيا بأن اسهروا لأنّ السّهر هو عنصر جوهريّ في الرّوحانيّة الأرثوذكسيّة.

وقبل أن نتوجّه إلى موضع آخر في سفر الرّؤيا، دعونا نتذكّر أنّ هذا السّفر وضع في زمن اضطهاد الكنيسة في زمن بدأت فيه دماء الشّهداء تسيل لتغذّي بذار الإنجيل المسيحيّ كي تنمو وترتفع لتصبح شجرة باسقة يتظلّل بأوراقها الجميع حتّى أقاصي الأرض، ويغتذي بأثمارها ساكنو الأرض.

لقد أمر الامبراطور دومتيانوس شعبه أن يدعوه ربّاً وإلهاً، وطلب من النّاس أن يعبدوه كإله كحال البعض من الأباطرة السّابقين. إلاّ أنّ المسيحيّين يؤمنون أنّ واحداً هو الله وله فقط ينبغي أن نسجد ونعبد، فما كان منهم إلاّ أن رفضوا عبادة الأمبراطور، وكانت عاقبة الرّفض الاستشهاد.

أمّا الوحش الّذي عنه يتكلّم سفر الرّؤيا، فيسمّيه هكذا: ". . . من له فهم فليحسب عدد الوحش فإنّه عدد إنسان. وعدده ست مئة وستة وستون" (رؤ ١٣: ١٨). ورقم ٦٦٦ هو امبراطور رومانيّ. هذا هو التّفسير التّاريخيّ لهذه المقاطع في سفر الرّؤيا. إلاّ أنّه في الوقت نفسه نصّ رؤيويّ دنيويّ، ورسالته غير محدودة بزمن، فهي تصل حتّى إلى عصرنا لا بل تتجاوزه لتبلغ نهاية الدّهور. ويمكن أن يكون الوحش للزمان الّذي كتب فيه السّفر، أمبراطوراً رومانيّاً. ولكن تباعاً، ففي التّاريخ عرفنا وحوشاً كثيرة ادّعت الألوهة وطالبت الشّعب أن يعبدوها على أنّها آلهة. ويؤكّد المفسّرون أنّه في بعض العصور، ولدى تفسير هذا السّفر الصّعب التّفسير جعلت شخصيّات من أمثال هتلر وسواه على أنّها مجسّدة لهذا الوحش.

وعلى العموم، يمكننا أن نقول إنّ كلّ سلطة إنسانيّة، وكلّ إنسان، وكلّ إيديولوجيا، تحتكر صفات إلهيّة، وتريد أن ينظر إليها فوق الإنسان وتطلب الولاء والعبادة، هي وحش. كلّ سلطان ونفوذ وقوّة، سواء كان شخصاً أو نظاماً أو إيديولوجيا تتنكّر للحقوق الإلهيّة، فضلاً عن حقوق الإنسان، له سمة شيطانيّة، تطلق المسيح الدّجال الّذي هو الوجه النّهائيّ للشّرّ وفقاً للتّعليم الأساسيّ في سفر الرؤيا.

وعندما يقبل الإنسان بمحض إرادته أن يتبع شخصيّة تاريخيّة شيطانيّة، نفوذاً فوق النّاس، إيديولوجيّة توتاليتاريّة، فإنّه يفقد تقديم ذاته للإله الحقيقيّ، وبالتالي يفقد إنسانيّته. وفجر المسيح الدّجال وبدايته ليس هو ختم إلزامي غير منظور على الإنسان الاطّلاع به تجاه إبليس، إنّما هو خضوع طوعيّ من الإنسان، للشّرّ، وانخراطه ومسيرته مع قوى الفساد والدّمار.

ومن النّاحية الثّانية، فعندما يرفض الإنسان، بمحض إرادته، أن يعبد أيّة قوّة شيطانيّة، إيماناً منه أنّ العبادة للإله الحقيقيّ فقط، الإله الثّالوثيّ، فهذا الإنسان يجلب ختم الله المتعذّر محوه الّذي أخذه في المعموديّة، ولا يستطيع أحد أن يلغيه. وشهادته للإله الحقيقيّ، يمكنها في بعض الأحوال أن تؤدّي به إلى الموت والشّهادة. ويرى سفر الرّؤيا أمراً واحداً وهو أنّ النّصرة الأخيرة هي حكر على الله. وهكذا فإنّ جهاد المسيحيّ للحفاظ على الختم الإلهيّ في داخله يتوّجه بالنّصر "أمّا الّذي يغلب، فأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة . . ." (رؤيا ٢: ٧)، (رؤيا ٣: ٥).

وبعد هذه المسيرة القصيرة مع مواضيع السّفر المحوريّة، دعونا نتوقّف قليلاً لنرى: ما هو سفر الرّؤيا، وما هو ما ليس هو عليه هذا السّفر؟ وذلك لاجتناب أمور كذّابة من قبل قرّاء السّفر.

١– ما هو ما ليس السّفر عليه؟ ليس السّفر رزنامة قديمة في الزّمن Pro-chronic، أو جدولاً دقيقاً للدّمار والحروب والكوارث في الإنسانيّة. وكلّ محاولة يقوم بها المرء بغية مقارنة كوارث سفر الرّؤيا مع أحداث محدّدة من التّاريخ العالميّ بحيث يرى أحداث العالم حقائق لما هو مذكور في الرّؤيا، إنّما هي جهود مآلها الفشل، دون أن يعني ذلك أنّ أحداث الماضي، أو ما يحدث اليوم، أو ما سوف يحدث في المستقبل من حروب ومجاعات وهزّات وسواها لا علاقة لها بما هو وارد في سفر الرّؤيا، فنحن كلّ يوم، وأكثر فأكثر، نتأكّد أنّ هذا السّفر قريب منّا جدّاً. إنّما بدون شكّ سنخفض من قيمته التّاريخيّة ورسالته الخلاصيّة فيما لو أنّنا، وعلى نحو آليّ، حاولنا أن نجد في أيّ مقطع منه ما يحقّق هذا أو ذاك من الأحداث التّاريخيّة.

٢– سفر الرّؤيا ليس كتاباً يتوخّى التّحريض على الهلع والرّعب عند المجاهدين. فالهلع الّذي يستبدّ بالكثيرين الّذين يطالعون أو يسمعون ببساطة أمراً ما عن الرّؤيا دون

أن يكونوا قد طالعوه، يكمن في دواع أخرى نفسيّة تتّصل بكلّ إنسان على حدة، ولا تمتّ بصلة لفحوى هذا السّفر. فالهلع هو صرخة قلق وإحساس بعدم الأمان عند الإنسان المعاصر. الهلع هو فضول عقليّ يتوخّى معرفة ما سوف يستجدّ ويحصل على مسرح التّاريخ وذلك كي يتّخذ الانسان في الوقت المناسب الإجراءات الضّروريّة ويضمن لنفسه الأمان. أنّ هلعاً من هذا القبيل لا علاقة له بسفر الرّؤيا.

٣– ليس سفر الرّؤيا الكتاب الّذي يكون المسيح الدّجال الشّخص المحوريّ فيه. إنّ هستيريا أيّامنا تجعل الكثيرين يرون المسيح الدّجال في هيئة مبانٍ وفي أرقام ورموز، وفي أمور أخرى مختلفة، أو يعرفون عمره ومكان دراسته ومشاريعه، فهي بدورها خارج أهداف السّفر.

سفر الرّؤيا، كواحد من ٢٧ كتاباً تؤلّف العهد الجديد، هو كلمة الله الملهمة الّتي تحوي إيمان يوحنّا اللاّهوتيّ وكلّ أعضاء الكنيسة. وقوام هذا الإيمان أنّ سيّد التّاريخ وضابطه هو الله والحمل الذّبيح الّذي ينادي به "أنا الأوّل والآخر والحيّ. كنت ميتاً وأنا الآن حيّ إلى دهور الدّاهرين وعندي مفتاح الموت والجحيم" (١: ١٨). فالآلام القائمة في العالم سواء في حياة الإنسان أو الطبيعة، هي بسماح من الله لإنهاض البشر إلى التّوبة وتغيير السيرة، وأيضاً لتغيير البيئة الطّبيعيّة، وعودة الجميع إلى الخالق.

٢– وهذا السّفر لا يرمي إلى زرع الهلع بل إلى التّعزية وتشديد البشر، ودعم الإيمان والثّقة بالرّبّ وتسخين المحبّة المتجلّدة وإحياء الرّجاء بالمستقبل. وعبارة "إنّي آتي سريعا" الّتي هي في نهاية الكتاب (السّفر)، ليست عبارة توعيد بل عبارة تعزية تحمل الرّجاء. للحال، يأتي الجواب: "آمين، تعال أيّها الرّبّ يا يسوع" (٢٢: ٢٠).

٣– الوجه المركزيّ في سفر الرّؤيا هو يسوع المسيح، وهذا هو حال سائر أسفار الكتاب المقدّس. ولكن ثمّة فرقاً واحداً ههنا هو أسلوب تقديم يسوع وتصويره في سفر الرّؤيا. فبدل يسوع المصلوب والنّاهض من بين الأموات هنا، في سفر الرّؤيا، الحمل المذبوح، الّذي أميت، إلاّ أنّه يحيا ويملك فهو ربّ الحياة والموت. المسيح الدجّال هو النّموذج الشّرّير في سفر الرّؤيا ويتبعه كثيرون من النّاس. (١٣: ١٦؛ ١٤: ٩؛ ١٦: ٢؛ ١٩: ٢٠؛ ٢٠: ٤) ليس لأنّه . . . غير منظور، إنّما لأنّهم آثروا اليقين العابر للقوّة، وللسّلطة. فهؤلاء صلبوا المسيح الدجّال الشّخص المحوريّ في حياتهم. فهناك أناس

بداعي الخوف والأخطار جعلوا المسيح الدجّال الشّخص المحوريّ في سفر الرؤّيا.

إنّ القراءة الصّحيحة لسفر الرؤيا ترينا المسيح محوراً وحيداً لهذا السفر وأتباعه لا يُعدّون ولا يحصون، وهم من كلّ الأمم والأجناس والشّعوب واللّغات (٧: ٩) ويحملون ختمه، ويقدّمون الشّهادة حبّاً به في حياتهم، وإذا دعت الضّرورة يموتون من أجله.

لقد رأينا حتّى الآن، وباختصار المحاور المتّصلة بمواضيع سفر الرّؤيا والّتي يمكن تلخيصها في علامات ثلاث قسّمناها بين ما هو، وما ليس هو سفر الرّؤيا.

أمّا الآن وفي القسم الأخير من البحث سوف نحصر اهتمامنا في موضوع واحد معاصر به يرتبط سفر الرّؤيا، إنّه موضوع علاقة الإنسان بالبيئة الطّبيعيّة.

نسمع اليوم عن دمار البيئة، ونسمع عن نظريّات وعن أفكار عمليّة تتعلّق بالبيئة. واللّسان البشريّ يستخدم تعبيراً واحداً ليعبّر عن هذه الأمور بدقّة، لأنّه يتناول غضب الله وعلى نحو أدقّ يشير إلى الإنسان، ويتناول نتائج فيزيولوجيّة تتعلّق باقتحام الإنسان للبيئة، وتكون النتيجة أنّ البيئة تتغيّر، ويكون الثّمن باهظاً جدّا.

والدّمار الحاصل في البيئة كما يصفه سفر الرّؤيا ويعلنه، يتناول الأشجار والنّباتات، وتلوّث البحر والجوّ، وفي النّهاية فناء كلّ البشر. وأضيف إلى كلّ هذه بعضاً من الملائكة ". . . . . ." (٨: ٧)؛ (٩: ٢)؛ (١٣: ١٥)؛ (١٧: ١٨).

لنعد الآن إلى زماننا حيث نتكلّم عن مشكلة بيئيّة وأزمة بيئيّة، ومخاطر تنجم عن الدّمار البيئيّ. ويمكننا أن نقول تاريخيّاً إنّ جذور المشكلة ترقى إلى ما هو أقدم بكثير. ويرى علماء البيئة أنّ المرحلة الأولى من تلوّث البيئة الطّبيعيّة هي الثورة الصناعيّة الّتي قامت في القرن الثّامن عشر في بريطانيا مع استعمال البخار والفحم كمصدرين للطّاقة. أمّا المرحلة الثّانية فهي إنشاء الصّناعات الكيميائيّة والكهربائيّة مع نهاية القرن التّاسع عشر في ألمانيا. ويتّفق العلماء على حدّة المشكلة البيئيّة مع ظهور القرن العشرين، وذلك مع بروز التكنولوجيّات الكهربائيّة في أميركا واليابان. ونادي روما هو الّذي دقّ ناقوس الخطر سنة ١٩٧٢، فأشار العلماء إلى أمرين أساسيّين في المسألة: استنفاد خامات الأرض، وتدمير أنظمة الحياة. وخامات الأرض، على سبيل المثال البترول والفحم الحجري وسواهما، يُستنفدان من كثرة اعتمادهما في الاستعمال من قبل الإنسان لما

يوفر ذلك من طاقة. كلّ يوم يطال التلوّث جانباً أعمق من البيئة كالهواء والماء أيضاً. الصّناعة اليوم تستهلك مقادير هائلة من الأوكسجين كلّ يوم، وتخلف وراءها مقادير هائلة من سموم أوكسيد الكربون الّذي يصاحب ماء المطر وينزل إلى باطن الأرض فيلوّث رئات البشر والحيوانات وكلّ شيء.

ونضيف أيضاً تلوّث الماء واستعمال السيّارات بفعل أعمدة الدخان وتلوّث الجوّ والبحر بالبترول ونفايات السّفن الضخمة، وتلف الغابات من جرّاء الحرائق، وتصنيع المواد المركّبة، فضلاً عن استخدام موادّ تسهم في اتّساع رقعة الثّلف في طبقة الأوزون . . . . . وأتوقّف ههنا لأنّ موضوعنا الأساسيّ ليس بيئيّاً إنّما عرّجنا على البيئة لاتّصالها بسفر الرّؤيا.

ويرى سفر الرّؤيا أنّه رغم الكوارث الكثيرة الّتي يعرفها النّاس، إلاّ أنّهم لا يتوبون بل يستمرّون في الحياة على ما هم عليه (٩: ٢٠ – ٢١). هذا السّفر يدعو الإنسان اليوم كي يعي الحالة الّتي هو فيها، وأن يعي أيضاً علاقته مع الطّبيعة مع أخيه الإنسان، والأهمّ أن يعي علاقته المضطّربة مع الله. سفر الرّؤيا يدعو الإنسان كي يتوب.

المسألة في التّحليل الأخير ليست تكنولوجيّة أو تكنوكراتيّة إنّما لاهوتيّة وروحيّة. فالتّوبة تعني العودة إلى العلاقة الصّحيحة مع الله الخالق الّذي يكون الإنسان صورته ومثاله في العالم. وهذا يعني من جديد إصلاح العلاقات الأخويّة بين البشر، وفي النّهاية إصلاح علاقة الإنسان مع بيئته الطّبيعيّة: وهذا الأمر الأخير يعني أنّه على الإنسان أن يعي أنّه يجب أن يستخدم الطّبيعة دون أن يسيء إليها، فالطّبيعة هي هبة وبركة من الله، وليست إطاراً لوحيه الشّخصيّ وتصنيعاته الّتي هي ضمن سلطانه وصلاحيّاته. لقد كتب أحد النسّاك المعاصرين، القدّيس سلوان الآثوسيّ يقول: 'والقلب الّذي تعلّم أن يحبّ، يحزن على كلّ الخليقة".

وينتهي سفر الرّؤيا بالوصف العظيم لأورشليم الجديدة، المدينة السّماويّة الّتي تنزل إلى الأرض كعروس مزيّنة للقاء عريسها. فيقول:

'ثمّ رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة لأنّ السّماء الأولى والأرض الأولى والبحر لا يوجد فيما بعد. ورأيت المدينة المقدّسة أورشليم الجديدة نازلة من السّماء من عند الله مهيَّأة كعروس مزيَّنة لرجلها. وسمعت صوتاً عظيماً من السّماء قائلاً هوذا مسكن الله مع النّاس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم الهاً لهم.

وسيمسح الله كلّ دمعة من عيونهم، والموت لا يكون في ما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد لأنّ الأمور الأولى قد مضت. وقال الجالس على العرش: ها أنا أصنع كلّ شيءٍ جديداً. وقال اكتب فإنّ هذه الأقوال صادقة وأمينة. ثمّ قال لي قد تمّ. أنا هو الألف والياء البداية والنّهاية. أنا أعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجّاناً. من يغلب يرث كلّ شيء وأكون له إلهاً وهو يكون لي ابناً. وأمّا الخائفون وغير المؤمنين والرّجسون والقاتلون والزّناة والسّحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة فنصيبهم في البحيرة المتّقدة بنار وكبريت الّذي هو الموت الثّاني.

ثمّ جاء إليّ واحد من السبعة الملائكة الّذين معهم السّبعة الجامات المملوءة من السّبع الضّربات الأخيرة وتكلّم معي قائلاً هلمّ فأريك العروس امرأة الخروف. وذهب بي بالروح إلى جبل عظيم عال واراني المدينة أورشليم المقدَّسة نازلة من السّماء من عند الله لها مجد الله ولمعانها شبه اكرم حجر كحجر يَشْب بلُّوري. كان لها سور عظيم وعال وكان لها اثنا عشر باباً وعلى الأبواب اثنا عشر ملاكاً وأسماءٌ مكتوبة هي أسماء أسباط بني إسرائيل الإثني عشر. من الشّرق ثلاثة أبواب ومن الشّمال ثلاثة أبواب ومن الجنوب ثلاثة أبواب ومن الغرب ثلاثة أبواب. وسور المدينة كان له اثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الخروف الإثني عشر. والّذي كان يتكلّم معي كان معه قصبة من ذهب لكي يقيس المدينة وأبوابها وسورها. والمدينة كانت موضوعة مربّعة طولها بقدر العرض. فقاس المدينة بالقصبة مسافة اثني عشر ألف غلوة. الطّول والعرض والارتفاع متساوية. وقاس سمورها مئة وأربعاً وأربعين ذراعاً ذراع إنسان، أي الملاك. وكان بناء سورها من يَشْب والمدينة ذهب نقيّ شبه زجاج نقيّ. وأساسات سور المدينة مزيّنة بكلّ حجر كريم. الأساس الأوّل يَشْب، الثّاني ياقوت أزرق، الثّالث عقيق أبيض، الرّابع زمرّد ذبابي، الخامس جزع عقيقي، السّادس عقيق أحمر، السّابع زبرجد، الثّامن زمرّد سِلقي، التّاسع ياقوت أصفر، العاشر عقيق أخضر، الحادي عشر اسمانجوني، الثّاني عشر جَمَشْت. والاثنا عشر باباً اثنتا عشرة لؤلؤة كلّ واحد من الأبواب كان من لؤلؤة واحدة وسوق المدينة ذهب نقيّ كزجاج شفّاف. و لم أرَ فيها هيكلاً لأنّ الرّبّ الله القادر على كلّ شيء هو والخروف هيكلها. والمدينة لا تحتاج إلى الشّمس ولا إلى القمر ليضيئا فيها لأنّ مجد الله قد أنارها والخروف سراجها. وتمشي شعوب المخلَّصين بنورها وملوك الأرض يجيئون بمجدهم وكرامتهم إليها. وأبوابها لن تُغلَق نهاراً لأنّ ليلاً لا يكون

هناك. ويجيئون بمجد الأمم وكرامتهم إليها. ولن يدخلها شيءٌ دنس ولا ما يصنع رجساً وكذباً إلاّ المكتوبين في سفر حياة الخروف." (٢١: ١ – ٢٧).

وقد أشار الرّسول بولس إلى هذا الوصف البهيّ فقال: 'لأنّ الخليقة نفسها أيضاً ستُعتَق من عبوديّة الفساد إلى حريّة مجد أبناء الله. فإنّنا نعلم أنّ كلّ الخليقة تئنّ وتتمخّض معاً إلى الآن (رومية ٨: ٢١ – ٢٢). ويرى سفر الرّؤيا أنّ الدّمار تنقية للإنسان ومدعاة للتّوبة. أمّا عالم الكوارث والآلام، فهو العالم القديم الّذي سيتنحّى مستقبلاً ليعطي مكاناً للسّماء الجديدة والأرض الجديدة. وفي الوقت الحاضر فإنّ واجب الإنسان يستتبع الانشغال بالتوبة.

والكنيسة الأرثوذكسيّة في أناشيدها الملهمة تعطي تفسيراً عن الخليقة الّتي تفرح وتتهلّل لميلاد المسيح، فتتكلّم عن تقديس المياه أثناء معموديّة الرّبّ في الأردن، وتصوّر تجلّي العالم بقيامة المسيح، وتتهلّل مسبّحة مسيرة الإنسان والطّبيعة نحو المسيح.

The Book of Revelation and Our Times

Dr. John Karavidopoulos
University of Thessaloniky - University of Balamand

The writer wonders about the end of times, and tries, by referring to history to see the questions of the peoples about the topic at stake. He finds the book of Revelation highly relevant and significant, for it is deeply integrated with the lives of nations and peoples.

Moreover, he draws a contrast between Good and Evil claiming that the final word is cettered by the former, despite the fact that the latter is so universally attractive. To him as a member in the body of Christ (the church) God in Jesus Christ is the ultimate goal of history and life, and he sees him in the victorious knight who rides the white horse according to the book of Revelation, and also sees the final victory, in history, embodied in the heavenly Jerusalem.

He then writes about the monster that has emerged in different forms in history: Regimes, tyrants, emperors and power, as well. And closes saying that Christ is the pleroma of history to whom every thing is moving, and for whom, and by whom creation has been made.